

تساؤلات صادمة في مثال الريادة وكعبة السياسة

مرّ على هذه المعمورة منذ أبينا آدم (ع) وحتى يومنا هذا أقوام وأقوام، لا حصر لهم ولا عد، مليارات تتلو مليارات، دبّوا ويدبّون في مشارق الأرض ومغاربها، ولكن صفحات التاريخ حفظت لنا وبشكل عام شخصيات قليلة العدد معلومة العدة واضحة الملامح فارقة المعالم، تتحرك في دائرة قطرها بيّـن تجمع بين الخير والشر، فلجند الخير أئمة ولجند الشر أئمة، وهم واضحون يتحركون على خشبة مسرح الحياة، يعرفهم المتصفح لسجل التاريخ بسيماهم وتدل عليهم أعمالهم وبما كسبت أيديهم.

ومن ديدن الشر أن يجعل بين الناس والخير حاجزاً لئلا يميلوا ببوصلتهم نحو قبلة الحق، لأن الإنسان بفطرته السليمة إن عرف الحق أحبه وعمل له، ولأن الشر الضد النوعي للخير فإنه من الطبيعي أن يمقت الخير وأهله ويعمل على محوه من صحيفة الأعمال اليومية، والحرب بين الخير والشر سجال يدور بأهل الأرض من حال إلى حال، منذ أن أهبط الله أبينا آدم إلى الأرض وإلى آخرهم على وجه البسيطة.

ولأن الشرّ ظلّام، فإن أئمة الظلام يحثون الخطى على إلباس الشر لبوس الحق ليحيدوا الناس عن سبيل الخير ويضعوا العصي الغليظة أمام عجلة الخير وأئمتهم، وهم ماضون في هذا المسار المظلم ويعملون تحت جنح الظلام كالخفافيش التي تأنس إلى الظلام أنس الإنسان إلى شمس الشتاء، ولطالما اشتغلت مآكنة إعلام الظلام على تضليل المجتمع وتضبيب سمائه بما يحول بينه وبين أئمة الخير، وجرت ما أوسعها الحال على تشويه سمعة رجال الخير وأئمتهم.

لا يخفى أن الفطرة الإنسانية تميل إلى الخير، فلو تعرّّف الناس على أئمة النور لسلکوا درب الهداية، وفق القاعدة التي نطق بها الإمام علي بن موسى الرضا (ع): (إن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)، والنسبة طردية بين الخير وأحابيل الشر، فكلما كان الخير وإمامه علما في قومه تحركت خفافيش الظلام للنيل منه بكل ما تحت جناحها من ألاعيب وحيل، لتخفي عن الأمة محاسن الرجل من قول وفعل وما أقر عليه من خير ونبذه من شر.

الأشتر والحقائق المغيبة

حقيقة الصراع الأبدي بين محوري الشر والخير، بين محور مقاومة الأنا وتغليب مصلحة الإسلام والأمة وبين

محور الإنبطاح للإننا وتجاوز مصلحة الإسلام والأمة، يجليها للعيان الإصدار الجديد للعلامة المحقق آية الله الشيخ محمد صادق الكرباسي المعنون (إنه المؤمن حقاً) .. السيرة الكاملة لفارس الإسلام مالك الأشر (الصادر في بيروت عن بيت العلم للنابهين في خمسة أجزاء صدر منها الأجزاء الثلاثة في 1212 صفحة من القطع الوزيري على النحو التالي: 416 صفحة للجزء الأول ومثلها من الصفحات للجزء الثاني و380 صفحة للجزء الثالث، وكان للعبد قارئ هذا الكتاب شرف مراجعة الكتاب بأجزائه والتقديم له في 15/8/2017م.

فالكتاب بمحتواه الجديد والشيق يتناول شخصية العلم الفذ مالك بن الحارث الأشر النخعي المستشهد بالسم بين طهراني أهل مصر.

ماذا نعرف عن هذا الرجل الذي كان مائزاً بين جبهتي الحق والباطل كان وما زال؟

إنَّ جل ما عرفناه ونعرفه عن الأشر النخعي مشاركته في معركتي الجمل وصفين وعهد الإمام علي(ع) حين توليته حكم مصر واستشهاده فيها، وما لا نعرفه الكثير الكثير منذ أن قدم المدينة المنورة بعد رحيل النبي الأكرم محمد(ص) وحتى آخر ملحقة غسل تذوقها وبها شهادته، دونته كتب التاريخ وسجلات السير، ومنعت من ظهوره قوى الشر والجهل والطائفية البغيضة.

ماذا نعرف عن الأشر ونسبه؟

ماذا نعرف عن دور الأشر في هجرته من اليمن الى المدينة ودوره في حياة أهل المدينة؟!

ماذا نعرف عن دوره في فتح الأردن سنة 12 للهجرة؟! وعن دوره في فتح دمشق سنة 13 للهجرة؟! وعن دوره في معركة القادسية بالعراق سنة 14 للهجرة؟! وعن دوره في معركة اليرموك بالأردن سنة 15 للهجرة؟! وعن دوره في فتح مدينة عزاز في سوريا سنة 16 للهجرة؟! وعن دوره في فتح بيت المقدس سنة 16 للهجرة؟! وعن دور في فتح مدينة البهنسا في مصر سنة 22 للهجرة؟!

بل وماذا نعرف عن دور الإمام علي بن أبي طالب(ع) في فتح بيت المقدس ومشورته الصائبة على الخليفة عمر بن الخطاب العدوي في الذهاب بنفسه إلى فلسطين والتي جاءت بالنصر للمسلمين وحفظ دماء المسلمين والمسيحيين معاً؟.

ماذا نعرف عن دور الأشر في معارضة الحاكم الأموي في الكوفة سنة 29 للهجرة؟! وعن انتفاضه في الكوفة سنة 33 للهجرة ونفيه إلى الشام عند معاوية بن أبي سفيان الأموي؟! وعن استمرار معارضته ونفيه ثانية إلى حمص سنة 34 للهجرة والفرار منها؟! وعن قيادته للإنفاضة الكبرى سنة 34 للهجرة ضد ولاة بني أمية الذين استعبدوا الناس والتي انتهت بتغيير نظام الحكم سنة 35 للهجرة؟!

ماذا نعرف عن حقيقة دوره الفعال في معركة الجمل وإنهاؤها ووأد فتنة الناكثين؟! وعن حكمه لولاية الجزيرة الكبرى في عهد الإمام علي(ع) سنة 36 للهجرة؟! وعن دوره في معركة صفين في سنة 36 و37 للهجرة وحرب القاسطين وإنهاؤها لصالح الحق لولا تخاذل قطعات من جيش العراق وانخداعهم بحيل عمرو بن العاص السهمي؟!

ماذا نعرف عن حكمه لولاية إصفهان في سنتي 38 و39 للهجرة؟! وعن حكمه لمصر الكبرى واغتياله فيها؟! وعن معركة الأنبار سنة 39 للهجرة وافتقاد أهل العراق لمالك الأشر؟!

ماذا نعرف عن الأشر ومؤهلاته الشخصية والجسمانية؟! وعن الأشر الراوي وموقعه الرجالي؟! وعن الأشر الخطيب والمتكلم والمحاور؟! وعن الأشر المفكر السياسي؟! وعن الأشر الشاعر والأديب؟!

ماذا وماذا .. أمور كثيرة حاضرة في مطاوي التاريخ وتلافيفه وهي تمس شخصية الحواري مالك الأشر النخعي من قريب أو بعيد، لكنها غائبة أو مغيبة عن أذهان الأمة، عملت معاول التخريب الأموي والجهل الطائفي على طمس معالمها أو تشويه صورتها ما أمكنها ذلك، طنًا منها أن النيل من حواري من حواري أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) سيطل المحبوب أيضا، وقد نال مالك الأشر الضربات من المعاول الأموية ما لم ينله أحد من الحواريين، وما ذلك إلا لقوة إيمانه وولائه وتنمره في ذات الله حتى قال فيه نبي الإسلام محمد بن عبد الله(ص) في وقت لم ير أحدهما الآخر: "إنه المؤمن حقًّا"، شهادة حاضر لا ينطق عن الهوى في غائب بلغ في هوى الآل المدى .. ما أعظمها، وما ذلك إلا لذوبانه في طاعة أهل البيت(ع) وحب إمامه وخليفته إمتثالا لأمر الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) سورة النساء: 59، ولأن الحواري كما يقول إمام الموحدين حيدرة الكرار: "كان لي مالك كما كنت لرسول الله"، فمن الطبيعي أن تزداد على رأسه الطرقات كما طرقت على رأس إمامه ومحبوبه.

أمور كثيرة في جب التاريخ، غائبة ومغيبة عمدًا وجهًا، نزل إليها يوسف التحقيق العلامة الشيخ محمد صادق الكرباسي حاملاً معه مصباح الفراسة ليكشفها ويستنطقها ويستعلم حالها، ليصعد إلينا ببضاعة

منتقاة غالبية الثمن تنوء سيارّة الكتاب والمحققين عن ابتياعها أو أولو العصبة عن حمل مفاتيحها.

قراءة البيان من العنوان

في العادة يتضح مراد القائل أو الكاتب من العنوان أو من أول عبارة يتفوه بها أو سطر يحبره، وعند استظهار عناوين الأجزاء الثلاثة المطبوعة من السيرة الذاتية لفارس الإسلام مالك الأشر، تتراءى أمامنا عمق الشخصية العظيمة التي يستقصيها الكتاب وما تركته من بصمة عميقة على طول الجغرافية الإسلامية من الجزيرة العربية إلى العراق وأرمينيا وولاية الجزيرة وآسيا الوسطى وإيران والشام حتى أفريقيا، منذ أن تعرّف على حامل رسالة الإسلام محمد (ص) حتى استشهاده في مصر على الولاء وحب أهل البيت (ع).

الجزء الأول ضمّ - إلى جانب مقدمة الناشر ومقدمة المراجع الدكتور نضير الخزرجي وتمهيد المؤلف، العناوين التالية: الأشر في سطور، عائلة الأشر، صفاته الروحية والجسمية، الجذور، الآباء والأجداد، اليمن .. المولد والنشأة سنة 25 ق.هـ، هجرة العقيدة سنة 10هـ، الهجرة الأولى إلى المدينة سنة 11هـ، في قبيلة بني حنيفة سنة 11هـ، فتح الأردن سنة 12هـ، فتح دمشق سنة 13هـ، إلى العراق .. القادسية سنة 13-14هـ، معركة اليرموك سنة 15هـ، فتح عزاز وأنطاكية سنة 15هـ، فتح بيت المقدس سنة 16هـ، فتح البهنسا سنة 22هـ، الأشر ووالي الكوفة سنة 29هـ، تجهير أبي ذر سنة 32هـ، إنتفاضة الأشر في الكوفة سنة 33هـ، نفي الأشر إلى الشام سنة 33هـ، الأشر في منفى حمص سنة 34هـ، قائد الإنتفاضة الشعبية سنة 34هـ، حصار عثمان سنة 35هـ، البيعة لعلي (ع) سنة 35هـ، معركة الجمل سنة 36هـ، حرب الجمل وتداعياتها، تحول العاصمة سنة 36هـ، ولاية الجزيرة سنة 36هـ، معركة صفين سنة 36-37هـ، من تداعيات معركة صفين، الأشر في إصفهان 38-39هـ، ولاية مصر والعهد سنة 39هـ، التوجه إلى مصر سنة 39هـ، الإغتيال والشهادة سنة 39هـ، تجهيزه.

وحيث تضيء مصابيح الجزء الأول معترك سيرة الأشر وحياته من الولادة إلى الشهادة، فإن الجزء الثاني تناول أربعة موضوعات من حياة هذا الفارس المغوار وهي مرقد الشريف، وشعره ونثره وما قيل فيه من شعر، وجاءت العناوين على النحو التالي: التلفيق، ساحة المعركة، مؤهلات متنوعة، مرقد الأشر الذي يقع في بلدة القلج عند مدخل محافظة القليوبية من جهة العاصمة المصرية القاهرة والذي يعرف عن أهل المنطقة بالسيد العجمي، زيارة ولي الله الأشر النخعي، مبنى المرقد القديم، مقام الأشر في مرعش، مقام الأشر في صور- ديار بكر، مقام الأشر في بعلبك، مقام مالك الأشر النخعي في القرم، مقام إبراهيم الأشر في إيلگودرز، مرقد صفية الأشرية في كاشان، مشهد محمد الأشر في بربرود، مرقد الأمير صالح النخعي في كياب، ديوان الحماسة وضمن 46 قصيدة ومقطوعة أنشدها الأشر في مناسبات مختلفة،

شاعرية الأشرت، رواية الحديث وفيه سلسلة من روى عنهم الحديث أو من روى عنه، موقعه الرجالي، الأحاديث الموضوعة، منبر الخطابة، أولاً: الخطب وضم (23) خطبة، ثانياً: الكتب وضم (6) من الكتب، ثالثاً: الحواريات وفيه (62) حوارية، رابعاً: الكلمات وفيه (14) من الكلمات القصار، قوة البلاغة في خطبه وكلماته، ما قيل فيه من الشعر وضم 19 قصيدة ومقطوعة لشعراء من بلدان مختلفة، مقولات في الأشرت، قالوا في مالك، مالك في المقالات وفيه بيان لأهم ما قيل عن الأشرت في 159 مقالة بلغات مختلفة.

ولأن الأشرت رجل دين ودولة، وفارس حرب وسياسة، وقبله الساسة، تولى في حياته السياسية ولايات عدة في آسيا وأفريقيا، ولعل أكثر ما اشتهر فيه عهد الإمام علي (ع) له عندما ولاه حكومة مصر لما فيها من أسس وقواعد وتفصيل دقيقة في إدارة دفة الحكم، فإن والمؤلفات عنه بالمئات وبلغات مختلفة، وتمكن المحقق الكرباسي من رصد 249 كتاباً ومؤلفاً في الأشرت، كما رصد عناوين 129 مؤسسة ومنشأة تسمت باسمه الشريف توزعت على مدرسة وجامع وكلية وحوزة علمية ومستشفى، ولواء عسكري، ومنشأة عسكرية وصناعية وشركة تجارية ومدينة وقرية وحي وشارع وحديقة عامة، وموقع إلكتروني، ومحطة بنزين ودائرة بريد، ومركز رياضي، وقاعة إجتماعات، وغيرها.

ورصد المؤلف في الجزء الثالث (12) فيلماً ورواية عن الأشرت، و(6) من اللوحات والرسوم والصور تمثل شخصية الأشرت لرسامين وفنانين تشكيليين من بلدان مختلفة مثل باكستان وإيران.

كما أفرد المؤلف وهو المنتمي إلى الأشرت نسباً فصلاً تحدث عن أسرة الأشرت وأبنائه وأحفاده الذين سكنوا بقاع الأرض.

أما الجزآن الرابع والخامس وهما مخطوطان، فإنه المؤلف أوسع فيهما شرحاً للكلمات الواردة في نصوص الأشرت النظمية والنثرية وغيرهما، وشرحاً للأماكن والمدن الواردة، والسيرة الذاتية لمن ورد في حياة هذا الفارس الذي كان يعادل ألف فارس في صفحات الأجزاء الثلاثة.

قبلة الساسة حياً وميتاً

لقد تابعت ما خطه يمين الكرباسي في هذا الكتاب، وما بذله من جهد جهيد تليق بشخصية هذا الفارس الحبر، وتفاعلت مع الأشرت ومواقفه وسلوكه حتى كأنني أراه يمشي بين طهرانينا ذهاباً وإياباً .. أراه في ساحة الوغى يدعو الأبطال إلى المبارزة فيمتنعون ويتمنعون، فيتحاييل على القوم ويغير زيه المعهود

بزي رجل آخر ويستدرج فريسته الى مقصلتها .. أراه وهو يجول في عرصات الحرب يشد من عزيمة المقاتلين .. أراه في الحياة اليومية يدعو بالخير ويصلي لمن أساءه له .. أرى وأرى بما أرانيه الكرباسي في سفره، ومن يرى ما أرى يدرك معنى قول النبي الأكرم(ص) فيه وإيمانه المحض، وما يعنيه الإمام علي(ع) في المكانة التي كان عليه الأشر كما كان هو للمختار، وأدركت في الوقت نفسه معنى القول الشائع (التاريخ يعيد نفسه)، ولذا فإن السياسي الحاذق الذي يريد أن يحكم الناس بالسوية ويواجه مخططات الأعداء ومناوراتهم في الداخل والخارج ما عليه إلا إعادة قراءة شخصية الأشر، فأعماله وسلوكه فيها حكمة وفطنة سياسية، وخطبه وحوارياته تنم عن فكر سياسي متنور، والعاقل من جمع عقول الناس إلى عقل، والعاقل من اتخذ شجعان الهيجاء وفرسان الكلام قدوة له، وما أحوج الساسة إلى نموذج حي كمالك الأشر النخعي.

في الواقع إن الذي أتى به الكرباسي، في هذا السفر المبارك يمثل غنيمة راقية في سوح القلم، يُضاف إلى ما أبدعه يمينه في دائرة المعارف الحسينية، وقد قلت من قبل وأثبت ثانية وثالثة ورابعة: إن الكرباسي للحسين(ع) كجده مالك لعلي(ع) وكعلي للمختار محمد(ص).